مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 13، العدد 3، (السداسي الثاني 2021م)، ص. 247 – 270

التلمود في الفكر اليهودي القرائي: يعقوب أبو يوسف القرقساني أنموذجا

The Talmud in Karaite Jewish thought : Abu Yusuf Yaqub Al-Qirqisani as an example

رابح بوترفاس*
جامعة وهران1، rabehboterfas@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/04/24 تاريخ القبول: 2021/09/07 تاريخ النشر: 2021/09/30

ملخص:

يتناول هذا المقال رؤية فرقة القرائين للتلمود، وهي إحدى الفرق اليهودية المهمة التي ظهرت في البيئة الإسلامية، واستمر وجودها إلى وقتنا الحالي، وهذا من خلال كتابات علمائها عامّة، وكتابات أبي يوسف يعقوب القرقساني خاصة، وتحديدا من خلال كتابه الأنوار والمراقب. ويعدّ القرقساني أهم مجادل للقرائين في عصره، كما كان له تأثير كبير على الفكر القرائي بعده. وقد بيّن المقال رؤية القرقساني لمصدر التلمود وتشكّله في التاريخ، كما فصّل في الأسباب التي دَعَت القرائين عامّة والقرقساني خاصّة لإنكار وحيانية التلمود التي ادّعاها له الربانيون .

الكلمات المفتاحية : تلمود،؛ يهودية؛ قرّاؤون؛ ربّانيّون؛ أبو يوسف يعقوب القرقساني .

Abstract:

This article addresses the vision of the Talmud Karaite sect, one of the important Jewish sects that has emerged in the Islamic environment, and has continued to exist for the time being. This is done through the writings of its scholars in general and the writings of Abu Yusuf Yaqub Al-Qirqisani in particular; specifically through his book "Book of Lights and Watch-Towers". Al-Qirqisani was considered the most formidable champion of Karaism of his age, and he exercised a great influence on succeeding Karaite thought. The article demonstrated the Qirqisani's vision towards the source of Talmud and its formation in history, as well as the reasons why the karaites in general and Al-Qirqisani in particular denied the Talmud holiness claimed by the Rabanites.

* المؤلف المرسل

Keywords: Talmud ; Judaism ; karaites ; Rabanites ; Abu Yusuf Yaqub Al-Qirqisani ; Book of Lights and Watch-Towers

مقدمة:

يعدّ التلمود وحيا إلهيا لدى اليهودية الربانية التي تبناها جمهور اليهود قرونا عديدة، ولما كانت المقرا حمّالة أوجه حسب الحاخاميم، فقد كان تحديد التفسير الذي على جمهورهم الأخذ به من نصيب التلمود؛ لهذا لا يمكن دراسة اليهودية من دون الوقوف على هذه الموسوعة الضخمة التي حاولت الإجابة عن شتى القضايا التي شغلت عقولهم... وقد مثّلت فرقة القرائين بعد ظهورها في القرن الثامن للميلاد أكبر خطر هدّد اليهودية الربانية الحاخامية، حيث رفضت تقديس التلمود واعتبرته كتابا يتضمن اجتهادات بشرية غير ملزمة لهم.

ويأتي هذا البحث محاولة لتجلية رؤية القرائين للتلمود في إطار جدلهم مع خصومهم الربانيين، وهو محاولة لعرض التلمود من داخل الدائرة اليهودية وليس من خارجها كالمعتاد، ومن يهود على دراية واسعة ودقيقة بهذا الكتاب، فرائد القرائين الأول "عنان بن داود" كان من أكبر علماء التلموديين وكان مرشّحا لرئاستهم ورئاسة يهود المهجر عامة، لكنّ التلموديين رفضوا تعيينه لاحقا نظرا لآرائه الطاعنة في قدسية التلمود. وإن لم تصلنا كتابات عنان، فقد وصلتنا كتابات أحد أهمّ علماء القرائين ومتكلّميهم من القرن العاشر للميلاد بالعربية اليهودية التي دوّنوا بها تراثا ضخما في شتى علومهم الدينية والدنيوية، ومقصودنا هو يعقوب القرقساني الذي عدّ أهمّ مجادل عن القرائين في عصره، وكان أثره قويا في الفكر القرائي بعده. وعليه أردنا من خلال هذا البحث التعمق في دراسة نقده للتلمود من خلال موسوعته "الأنوار والمراقب" التي لم يطبع سواها من مصنفاته، وقد نشرها المستشرق الروسي "ليون نيموي" في النصف الأول من القرن الماضي .

ومحاولة للإجابة عن تساؤلات هذا البحث، والتي تتركز أساسا حول رؤية القرائين عامّة ورؤية القرقساني خاصة للتلمود، صغناه وفق الخطة التالية:

أولا- التلمود حسب اليهود القرائين

أ- مفهوم التلمود

ب- مدخل إلى الفكر القرائي

ج- الرؤية القرائية للتلمود

ثانيا- التلمود حسب القرقساني

أ- تعريف القرقساني وكتابه الأنوار والمراقب

ب- رؤية القرقساني للتلمود

حرصنا في دراستنا على استعمال مصادر اليهود القرائين، حيث عرضنا هذه الفرقة ورؤيتها للتلمود أساسا من خلال كتابات علمائها، كما عرضنا وناقشنا رؤية القرقساني المتكلّم القرائي بالأساس من خلال موسوعته الأنوار والمراقب، معتمدين النسخة القديمة لها. هذا وقد نقلنا رؤية اليهود التلموديين من كتبهم أيضا حيث عدنا إلى نصوص التلمود، وكتابات علمائهم خاصّة الحاخام سعيد[1] الفيومي (ت942م) الذي عاصر القرقساني، واطّلع هذا الأخيرُ على كتاباته متبنيا بعض آرائه وطاعنا في أخرى، وهذا ما يضح لكلّ من قارن بين كتاباتهما. كما استعنا ببعض الدراسات العربية والأجنبية المتخصصة تجلية وإثراءً للموضوع عامّة .

[1] اسمه بالعبرية سعَدْيَا סַעֲדְיָה (وفي صورة أخرى: סַעֲדְיָהוּ) يتكون من الفعل סעד بمعنى عضّد، أيّد، ساند...، ملحقا به יה (وهو اسم الرب في صورة مختصرة) وعليه يكون معنى اسمه: فليعضده الرب، فليسانده الرب...، وهو يشبه أسماء كثيرة وردت على هذا النحو في التوراة. محمد الهواري، تفسير الوصايا العشر في المخطوطات العربية اليهودية، ص1

أولا- التلمود حسب اليهود القرائين :

أ- مفهوم التلمود :

التلمود תַּלְמוּד كلمة عبرية مشتقة من المصدر العبري "لَمُد" بمعنى تعلّم وعلّم، ومنها لفظة "تلميد" العبرية بمعنى التلميذ؛ لأنه يعلّم الفقه والدين وتفسير التوراة وغير ذلك[2]، وإذا كان اليهود الربانيون يعدّون التلمود وحيا إلهيا وتوراة شفوية تسلّمها موسى من الرب على جبل سيناء[3]، إلّا أنّ من الفرق اليهودية من تهاجمه وتنقده، ومن هذه الفرق قديما فرقتا السامريين والصدوقيين، ووسيطا فرقة القرائين، وحديثا فرقة الإصلاحيين[4].

و"المشنا" هي مجموعة التفاسير والفتاوى والوصايا التشريعية التي تناقلتها أجيال اليهود مشافهة حتى عهد "يهودا هنّاسي" الذي قام بجمعها و تنسيقها في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد، وأصبحت بذلك أساس التلمود ومتنه الذي امتدت أجياله مرورا بأجيال المشنا وما سبقها حتى انتهت شروحها المعروفة ب"الجمارا" إلى عشرة قرون، خمسة قبل الميلاد ومثلها بعده. وتتضمن المشنا شروحات وتفاسير مفصلة للتوراة وأحكامها، كما تشتمل على أحكام وقوانين لم ترد فيها[5].

تتضمن المشنا ستة أقسام، تُسمَّى "سِداريم"، وهي أيضا أقسام التلمود الأساسية؛ لأنّ الجمارا شرح للمشنا. وتنقسم السداريم بدورها إلى أسفار تُسمَّى "ماسيختوت"، يبلغ مجموعها ثلاثة وستين سفرا. وهي تنقسم بدورها إلى فصول تسمَّى "براقيم"[6].

أمّا الأقسام أو السيداريم الستة للتلمود والمشنا، فهي على النحو التالي[7]:

---

[2]- مراد فرج، القرّاءون والرّبّانون، ص38

[3] Maurice –Ruben Hayoun, L'exégèse juive, p16

يَنقل الفيلسوف التلمودي "نتنئيل فيومي" (ت 561ه) بخصوص هذه المسألة قول حكمائهم: «أعطيت لإسرائيل شريعتان، واحدة مكتوبة، وأخرى شفهية». نتنئيل بيرف فيومي، بستان العقول، ص105

[4]- مصطفى عبد المعبود، ترجمة متن التلمود، مج3، ص10، 11

[5]- مصطفى عبد المعبود، ترجمة متن التلمود، مج3، ص8، 9. يقول "ابن باقودا الأندلسي"، وهو أحد علماء طائفة الربانيين عن "يهودا" جامع المشنا: «والربي "يهودا هناسي" وهو ربّينا المقدّس الذي جمع معاني المشنه وأثبتها وفصّلها وقيّدها، وهي أصل النقل المعتمد لدينا.» بَحْيِ بن باقودا، الهداية إلى فرائض القلوب والتنبيه على لوازم الضمائر، ص140، 141

[6]- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج5، ص130 وحسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص68

[7]- حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص67، 68

1- **سدر زراعيم:** أي البذور، أو الإنتاج الزراعي. ويحتوي القوانين الدينية الخاصة بالأرض والزراعة، ويبدأ بتحديد الصلوات المفروضة والبركات أو الأدعية.

2- **سدر موعِد:** أي العيد، ويتضمن الأحكام الدينية والفرائض الخاصة بالسبت وبقية الأعياد والأيام المقدسة.

3- **سدر ناشيم:** أي النساء، ويحتوي على النُّظُم والأحكام الخاصة بالزواج والطلاق.

4- **سدر نِزيقين:** أي الأضرار، ويحتوي على جزء كبير من الشرائع المدنية والجنائية، بما في ذلك القصاص والعقوبات والتعويضات.

5- **سدر قُداشيم:** أي المقدسات، وفيه الشرائع الخاصة بالقرابين وخدمة الهيكل.

6- **سدر طَهَاروت:** أي الطهارة، ويتضمن الأحكام الخاصة بما هو طاهر وما هو نجس، وما هو حلال وما هو حرام من المأكولات والمشروبات وغيرها.

شرح علماءُ اليهود المشنا في بيئتين مختلفتين ومستقلتين هما: فلسطين غربا والعراق شرقا؛ وعليه ظهر تلمودان: التلمود الغربي ويدعى التلمود الأورشليمي؛ تمسحا بمدينة القدس وتبركا بها، والتلمود الشرقي ويدعى التلمود البابلي؛ تذكيرا بقوة البحث الديني في العراق منذ السبي البابلي على أيام بختنصر، حيث كانت تدعى بابل لدى اليهود. ويلاحظ أن التلمود البابلي أتى بالشرح على جميع أقسام المشنا عكس سميّه الأورشليمي الذي لم يشرح سوى بعضٍ منها؛ لذا كان التلمود البابلي أكثر تداولا وحظي بتقدير أكبر لديهم[8].

طُبع التلمود الأورشليمي في البندقية سنة 1523- 1524م، كما أن التلمود البابلي كان قد بدأت طباعته في إسبانيا سنة 1482م، لكن أقدم طبعة كاملة له ظهرت في البندقية أيضا بين سنتي 1520 و1523م، وأشرف على طبعها "دانيال بومبرج". وقد أصبحت هذه الطبعة النموذج الأصلي الذي حذت حذوه مختلف الطبعات التي تلتها. وقد نُشرت الطبعة القياسية في فلنا سنة 1886م، وهي تحوي تعليقات، وتعليقات على تعليقات في أكثر من عشرين جزءا. وقد تُرجم التلمود إلى معظم اللغات الأوربية الأساسية[9].

---

[8]- حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص83، 84 وعبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج5، ص125، 126

[9]- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج5، ص128 ، بينما يذكر مراد فرج أن أوّل طبعة للتلمود الأورشليمي كانت سنة 1504م. مراد فرج، القرّاءون والربّانون، ص40

أمّا في اللغة العربية فقد تَرجم متنَهُ أوّلا -أي المشنا- الباحثُ المصري "مصطفى عبد المعبود" في ستة مجلدات، مخصصا لكلّ قسم مجلّدا مستقلّا، وقد صدرت هذه الترجمة سنة 2008م.

ثم أصدر مركز دراسات الشرق الأوسط سنة 2011م الترجمة العربية الكاملة للتلمود البابلي في عشرين مجلدا، وقد استغرق هذا العمل أربع سنوات ونصف، وأسهم فيه نحو تسعين شخصا بين مترجم ومحرّر وطابع ودارس وإداري[10]. أمّا التلمود الأورشليمي ففي حدود علمنا أنه لم يترجم بعد إلى اللغة العربية.

ب- مدخل إلى الفكر القرائي:

تجمع معظم الآراء على أن أصول القرائين تعود إلى القرن الثامن الميلادي، والمأثورات القرائية، والربانية على السواء تربط هذه الأصول بظهور "عنان بن داود"، والذي عرف أتباعه بالعنانيين وأطلق على حركتهم العنانية[11]، وقد ورد هذا الاسم في مؤلفات المسلمين القدامى[12]. أمّا اسم القرائين فقد ظهر بعد عنان بحوالي مائة عام، وهذا في كتابات بنيامين النهاوندي (ت860م)[13]، الذي يعدّ أحد أبرز علماءهم الأوائل.

وسمّوا "بنو المقرا" (בני מקרא) أو "أصحاب المقرا" (בעלי מקרא) و هي أسماء تدل على اعتمادهم على المقرا فقط باعتبارها المصدر الوحيد للتشريع وعدم الاعتراف بالتشريعات الشفوية (التلمودية)[14]، وهناك من ترجم الاسمين الأخيرين على أنهما "بنو الدعوة" أو "أصحاب الدعوة"، باعتبار الكلمة الثانية في كل منهما مشتقة من الفعل קָרָא بمعنى "دعا"؛ لأنهم كانوا يدعون إلى طريقتهم فينتشرون في طول البلاد وعرضها للإقناع والاستمالة[15].

---

[10] - مركز دراسات الشرق الأوسط، التلمود البابلي، ص16

[11] محمد الهواري، الاختلافات بين القرائين والربانيين، ص14

[12] من هؤلاء: علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، ص98،187 والشهرستاني، الملل والنحل، ص174 والبيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص58. ويلاحظ أنّ البيروني خلط بين عنان بن داود وبين حفيده عنان بن دانيال بن شاول بن عنان بن داود.

[13] محمد الهواري، الاختلافات بين القرائين والربانيين، ص14 وجعفر هادي حسن، تاريخ اليهود القرائين، ص38،39

[14] محمد الهواري، الاختلافات بين القرائين والربانيين، ص14 ومحمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، ص308،309

[15] مراد فرج، القراؤون والربانون، ص48-50 ومحمد الهواري، الاختلافات بين القرائين والربانيين، ص14 وانظر أيضا عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، ص177

ويرى القراؤون أنّ عنان لم يكن إلا الحلقة الأخيرة في سلسلة الخلاف المتواصل مع الربانيين، والذي بدأ مع الهيكل الأول[16]، بينما نجد المصادر الربانية تكاد تتفق على ربط انتشار القرائين بأسباب شخصية تتعلق بعنان[17]، حيث دبت العداوة في قلبه لأكابر اليهود في بابل لاختيارهم بدلا عنه أخاه الصغير "حنانيا" لمنصب الرئاسة وقد منعوها عنه لفجوره وقلّة تقواه[18]، حسب رواية الربانيين.

وقد ظهر في ظل الإسلام، منشقون آخرون سبقوا عنان في مهاجمته للتلمود وإنكاره له، والذي كان ما يزال حديث العهد بالجمع والتثبيت والتسجيل، ولكن حركاتهم كانت محدود في الزمان والمكان والقوة، ومن أشهر هؤلاء المنشقين والمعارضين "سيرينوس" ثم "أبو عيسى الأصفهاني" وتلميذه "يودجان" من بعده[19].

وقد كان عنان عالما يهوديا عراقيا، وظهر كمعارض للتلموديين خلال خلافة أبي جعفر المنصور (ت158هـ/775م) كما يذكر "القرقساني" وغيره[20]، ففي النصف الأخير من القرن الثامن الميلادي (حوالي سنة 761م) توفي حاخام العراق الأكبر، ورأس الجالوت في الدولة الإسلامية، وزعيم المحافظين على التلمود بحكم منصبه، وكان أحق المرشحين لذلك ابن أخيه عنان بن داود. وكان عنان معروفا بميوله التحررية، ورفضه مرجعية التلمود وقدسيته، ورأى أنّ القدسية للتوراة وحدها، وهذا جعل علماء التلموديين يرفضون تعيينه رئيسا للجالية، واختاروا بدلا منه أخاه حنانيا، رغم أنه الأصغر سنا والأقل علما. وقد رفض عنان الاعتراف بأخيه، و عيّن نفسه رئيسا للجالوت، و أيّده عدد من أصدقائه وأتباعه الذين التفوا حوله، وخوفا من تأثيره على اليهود شكته المؤسسة التلمودية إلى الحكومة في بغداد، بتهمة الارتداد عن الدين، وعدم الاعتراف باليهودية الرسمية. وعليه قبض على عنان، وأودع السجن، وكان من المتوقع إعدامه[21].

---

[16] محمد جلاء إدريس، التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، ص32

[17] محمد جلاء إدريس، التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي،ص32 وعبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج5، ص329

[18] مراد فرج، القراؤون والربانون، ص69

[19] حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص248

[20] جعفر هادي حسن، تاريخ اليهود القرائين، ص25 ويعقوب القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، مج1، ص13

[21] جعفر هادي حسن، تاريخ اليهود القرائين، ص26،27 ومحمد الهواري، الاختلافات بين القرائين والربانيين، ص20 وحسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص248

وتذكر بعض روايات القرائين أنه التقى في السجن بالإمام أبي حنيفة النعمان، الذي اقترح عليه أن يشرح للخليفة معتقده في اليهودية وأنه صاحب رأي يخالف التلموديين، ولم يرتد عن دينه، وبعد لقاءه بالخليفة أخرجه من السجن وأطلق سراحه[22].

يعدّ القرن العاشر والحادي عشر، العصر الذهبي للقرائين، ومما تميزت به هذه الفترة[23]:

- انتشار القرائين حتى وصلوا إلى أطراف المغرب وشمال الأندلس غربا، وحتى بيزنطة شمالا.

- غزارة إنتاجهم الفكري، والذي كان معظمه بالعربية اليهودية، في مجالات متنوعة، منها تفسيرات أسفار التوراة، ومؤلفات في اللغة العبرية والمعاجم، ومؤلفات دينية في التشريعات والأحكام وغيرها.

- اشتداد الجدل مع الربانيين، وخاصة في أعقاب ظهور كتابات سعديا الفيومي.

وفي أوائل القرن العاشر الميلادي قوي مركز القرائين في القدس حتى اضطر المعهد الديني العالي (اليشيفا) الرباني ورؤساؤه إلى الانتقال إلى رملة. وقد تبوأ القراؤون أماكن مميزة وبارزة في بلاط الحكام المسلمين في الشرق، وبخاصة عند الفاطميين بمصر حيث شغلوا مناصب المستشارين وجباة الضرائب والأطباء، وكما كان لهم تأثير ملحوظ في بلاطهم خلال القرن الثاني عشر وزاد عدد القرائين العاملين في الوظائف الرسمية وبخاصة في عصر الأيوبيين[24].

واستمرت الحركة العلمية للقرائين نشيطة حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي، ثم جمدت بعد ذلك، وقد تقلص ظلهم في العصر الحديث، مع انتشار الربانيين بعددهم الكبير في أوروبا وأمريكا وكثير من البلاد الذي استعمرها الغرب في إفريقيا وآسيا، مما أدى إلى الوصول إلى مستوى حضاري ومالي وسياسي لا يستهان به، بينما ظل القراؤون منكمشين في الشرق، وقد أدى هذا الفرق الكبير إلى ما يشبه أن يكون سحقا للقرائين على يد الربانيين[25].

---

[22] جعفر هادي حسن، تاريخ اليهود القرائين، ص27،28 وبنيامين بن يونة التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ص241

[23] محمد الهواري، الاختلافات بين القرائين والربانيين، ص30،31

[24] محمد جلاء إدريس، التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، ص40،41

[25] حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص253،254

المقرا هي المصدر الأساس للعقائد والتشريعات لدى القرائين[26]، وقد سمحوا بحرية دراستها، ولم يلزموا أنفسهم بآراء من سبقهم، وفي هذا ينقل عن مؤسس القرائية عنان قوله:«ابحث بعمق في التوراة ولا تعتمد على رأيي»؛ حيث لا توجد قيود على الفهم الفردي الحر للتوراة وهذا يشبه منهج علماء الإسلام، إذ لا توجد قيود أيضا في فهم القرآن الكريم، ولكل شخص امتلك الأدوات المعرفية الحق في فهمه وتفسيره، وعليه وضع القراؤون أيضا أصولا لاستنباط الأحكام شبيهة بالأصول الإسلامية[27]. والأصول المعتمدة لديهم: الكتاب والقياس والإجماع[28].

وباستثناء إنكار القرائين لإلهية التوراة الشفوية أو التلمود، لا توجد خلافات جذرية في العقيدة مع اليهود الربانيين، وفيما يلي قائمة لأركان الاعتقاد لديهم حسبما أوردها أحد علمائهم في القرن 15م[29]:

1- الله خالق العالم المادي والروحي في الزمان ومن العدم.

2- الله خالق غير مخلوق.

3- الله واحد بلا كيف، وليس كمثله شيء، لا جسم له متفرّد ومطلق في وحدانيته.

4- أرسل الله معلّمنا موسى.

---

[26] Encyclopaedia Judaica, vol11, p797

[27] محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، ص311،312. يقول العالم القرائي "مراد فرج" بخصوص هذه المسألة مقارنا بين المنتسبين إلى فرقته وبين الربانيين: «فإنّ إخواننا يعتبرون التلمود توراة ثانية لا يقدرون أن يحيدوا عنه قيد نقير أو فتيل، فضلا عن عدم اعتبار القرايين له إلا ما وافق منه، فإذا أمكن للقرايين الاجتهاد وهو غير مقفل عليهم إقفاله على إخوانهم بالتلمود فإمكان اجتهاد هؤلاء مثلنا لايتأتى كما هو ظاهر.» مراد فرج، شعار الخضر، ص1

[28] - مراد فرج، القرّاءون والرّبّانون، ص47 وهو ما نجده لدى القرقساني: «الوجوه الذي يُؤخذ منها ذلك ثلاثة: النصّ والقياس والإجماع». يعقوب القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، ج1، ص141

[29] Encyclopaedia Judaica, vol11, p798

للاطلاع على الاختلافات بين القرائين والربانيين تفصيلا يراجع: مراد فرج، القراؤون والربانون، ص112-149 ومحمد الهواري، الاختلافات بين القرائين والربانيين، ص32-67 وجعفر هادي حسن، تاريخ اليهود القرائين، ص379-420. ومن أبرز قضايا الاختلاف التي تذكر بين الفرقتين قضية التقويم السنوي وتحديد اليوم الأول من الشهر، وكانت هذه القضية مثارا للجدال بينهما منذ ظهور عنان، وظلت عاملا للنزاع في كل مكان اجتمع فيه أتباعهما معا، فبينما يعتمد الربانيون على نظام الحسابات الفلكية، يعتمد القراؤون على رؤية الهلال في تحديد بداية الشهور، ونتيجة لهذا الأمر تختلف الأعياد والمناسبات المهمة في كثير من الأحيان بينهما.

5- أرسل الله التوراة من خلال موسى والتي تتضمن الحقيقة الكاملة ولا تكملها ولا تنسخها أي شريعة أخرى وبخاصة الشريعة الشفوية المقدّسة لدى الربانيين.

6- على كل مؤمن أن يعرف التوراة (المقرا) في لغتها الأصلية، وفي معناها الصحيح.

7- أوحى الله بذاته إلى الأنبياء الآخرين، وإن كانوا أقل من موسى في منحة النبوة.

8- يبعث الله الموتى يوم الحساب.

9- يجازي الله كل إنسان حسب طريقة حياته وأفعاله (وهذا يتضمن العناية الفردية وحرية الإرادة وخلود الروح وعدالة الجزاء في الآخرة).

10- لا يحتقر الله المنفيين بل يريد تطهيرهم من خلال معاناتهم وهم يتطلعون إلى الخلاص الإلهي من خلال المشيّح من بيت داود (ويرفض بعض القرائين عقيدة المشيّح).

ب- الرؤية القرائية للتلمود :

التوراة الكتابية أو المقرا ليست الخبر الإلهي الوحيد لدى الربانيين، بل يقولون بوحيانية وإلهية التّلمود أيضا، جاء في شرح الحاخام سعيد الفيومي لسفر التكوين: «والمرتّبُ بعد معرفة الكتاب المنزّل ممّا يكمل بها دين المؤمنين معرفة المنقول عن الرّسول وذلك حفظ آثاره»[30]. ويقصِد هنا بالكتاب المقرا وبالمنقول التلمود.

وحسب التقليد الرباني، فإنّ موسى النبي تسلّم من الرب على جبل سيناء توراتان[31]، إحداهما توراة كتابية وهي المقرا، والأخرى توراة شفوية وهي التلمود. أمّا عن تناقلهما بعد موسى، فهم يستندون إلى ما جاء في مطلع مبحث الآباء من المشنا: «تلقّى موسى التوراة من سيناء وسلّمها ليشوع، ويشوع للشيوخ، والشيوخ للأنبياء، والأنبياء سلّموها لرجال الكنيسة الكبرى.»[32]. وقد كان رجال الكنيسة الكبرى حسب الربانيين في عصر زربابل وحجي وزكريا وملاخي[33]. أي في نهاية عصر النبوة حسبهم.

---

[30] سعديا الفيومي، شرح سفر التكوين، ص109. وهذا ما يؤكده كذلك في مصنفه الكلامي الأمانات والاعتقادات: «ليس وحده [أي الكتاب ويقصد به المقرا] مادّتُنا في ديننا، بل لنا معه مادتان أُخريان إحديهما [كذا] قبله، وهي ينبوع العقل، والـ[أي الثانية] بعده وهي معدن النقل، فما لم نجده فيه وجدناه فيهما.» سعديا الفيومي، الأمانات والاعتقادات، ص140

[31] Maurice –Ruben Hayoun, L'exégèse juive, p16

[32]- مصطفى عبد المعبود، ترجمة متن التلمود، مج4، ص301. ويمكن مراجعة تفسير هذه الفقرة من المشنا لدى علماء الربانيين في: داود هناجيد، تفسير فصول الآباء، ص68-72

[33] القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، ج1، ص120

ويفسّر الربانيون ما ورد في سفر الخروج: «ثمّ قال الله لموسى: اصعد إلى الجبل وقم ثمّ أعطيك لوحيْ الحجر، والشرائع، والوصايا التي كتبتها لأدلّهم.»[34] أنّ قوله "كتبتها" يرجع إلى اللوحين دون قوله الشرائع والوصايا، وأن هاتين أي الشرائع والوصايا هما المشنا والتلمود أي التوراة الشفوية، فالرب قد أعطاها إليه شفاها وأمره أن يبلغها ولا يكتبها. هذا في حين يرى القراؤون أنّ قوله "كتبتها" لاحق لما تقدّمه من ذكر اللوحين والشرائع والوصايا، أي إلى جميع ما ذكر قبله[35].

وبالعودة إلى سعيد الفيومي أهمّ جاؤون في تاريخ الربانيين، وصاحب أوّل مصنف عقدي لديهم، فحسبه أنّ علم التلمود أسبقُ من كتابة التوراة بأربعين سنّة، وقد بقي محفوظا محروسا من طرف الملوك والأحبار وفي حضرة الأنبياء إلى زمن الجلاء الأول، ثم يواصل سرده التاريخي: «فلمّا جلينا الجاليّة الأولى وارتفعت النّبوة خاف العلماءُ على العلم التلقيني أن يُنسى فعمدوا إلى عيونه فأثبتوها وسمّوها مِشنا، وأبقوا فروعاً رجوا أن تحفظ بعد ذلك بإثبات تلك العلوم فكان كذلك، فلم تزل الفروعُ المبقاة محفوظة إلى أن أجلينا الإجلاء الثاني فتمزّقنا أشدّ من التّمزيق الأوّل فخاف التلاميذُ حينئذ على ما كان قدماؤُهم لم يثبتوه أن يندرس فعمدوا إليه فأثبتوه أيضا وسمّوه تلمودا»[36]. ويقصد بالجالية الأولى النفي البابلي والذي حصل حوالي سنة 587 ق.م، أما الجالية الثانية فهي النفي الروماني سنة 70م.

والواقع أنّ التاريخ الذي يذكره الفيومي لتدوين المشنا والتلمود، متقدم كثيرا على ما نجده في كثير من مصنفات التلموديين، ففي هذه الأخيرة أنّ المشنا دوّنت في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي، أما الجمارا أي شرح المشنا، والتي بها اكتمل تدوين التلمود، فقد تأخر تدوينها إلى النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي، يقول "مسعود حاي بن شمعون"، وهو أحد التلموديين المعاصرين: «وقد عرف الأحبار المذكورون باسم "تنائيم" ومازلوا إلى سنة 3975 حيث تمّت قاعدة التلمود وصارت تعرف باسم ميشنا ومعناه بالعربية

[34] سعديا الفيومي، تفسير التوراة بالعربية، ص251

[35]- مراد فرج، القرّاءون والرّبّانون، ص53، 54. ويذكر القرقساني استدلالا آخر للربانيين بهذه الفقرة على وحيانية التلمود، يمكن مراجعته في: القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، ج1، ص112

[36] سعديا، شرح سفر التكوين، ص112، 113

الكتاب الثاني أعني الثاني بعد التوراة. وبعد هؤلاء الأحبار يبتدئ عهد الأحبار المعروفين باسم "أمورائيم" ومعناها بالعربية المترجمون؛ لأن مهمتهم إنما كانت شرح المشنا وهم من سنة 3979 إلى سنة 4234 حيث تمّ تأليف التلمود بحالته الحاضرة الآن.»[37]. والسنوات المذكورة في هذه الفقرة هي حسب التقويم العبري، ويمكننا معرفة مقابلها في التقويم الميلادي بطرح 3760 منها؛ حيث يعتقد اليهود أنّ العالم خلق سنة 3760 ق.م والتي ينطلق منها تقويمهم.

أمّا القراؤون، فمن الأسباب التي يذكرونها[38] لإنكارهم وحيانية التلمود: كثرة الخلاف والتناقض ضمنه، بين تحليل وتحريم وإباحة وحظر...، وأنّ التوراة من أوّلها إلى آخرها لم يرد لها ذكر إلا بلفظ المفرد دون الجمع، وهو ما ينفي وجود توراة أخرى غير التوراة المجمع عليها أي المقرا، وحسبهم أنه لو كان التلمود وحيا إلهيا، لما وجد النهي عن تدوينه، ففي هذا النهي منع للخير عن الأمّة ضرورة...

ثانيا- التلمود حسب القرقساني :

أ- تعريف القرقساني وكتابه الأنواروالمراقب :

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، أي بالترتيب ذاته لآباء التوراة، وإن كان من القرائين من يرى أن اسمه يوسف وليس يعقوب[39]. عاش في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، واختلف في نسبته هل هي إلى قِرْقيسْيا بأعالي بلاد الرافدين، أم إلى قَرْقَسان المدينة الصغيرة القريبة من بغداد[40].

[37] مسعود حاي بن شمعون، الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين، ص: و، وراجع أيضا: يهوذا اللاوي، الكتاب الخَزَريّ، ص424، 425

[38] - مراد فرج، القرّاءون والرّبّانون، ص38، 53، 54. ونلاحظ أنّ "السموأل المغربي" وهو أحد كبار علماء اليهود الذين أسلموا نقد اليهودية الربانية أيضا استنادا إلى الاختلاف بين مروياتها التشريعية التي تدّعى أنها وحي إلهي. السموأل المغربي، إفحام اليهود، ص95، 96

[39] Encyclopaedia Judaica, vol12, p186

وهو ما وجدناه أيضا لدى العالم القرائي المعاصر مراد فرج، حيث ذكره بيوسف القرقساني، القرّاؤون والرّبّانون، ص109

[40] Encyclopaedia Judaica, vol12, p186

حياته الشخصية مجهولة، باستثناء ما يمكن أخذه من كتاباته، حيث كان منغمسا كليا في الفكر العربي المعاصر له الديني والفلسفي والعلمي، إضافة إلى معرفته الواسعة بالمشنا والجمارا، وبعض الأعمال المِدراشية، والشعائر الربانية. كما قرأ العهد الجديد والقرآن الكريم، ومن الممكن بعض أدب آباء الكنيسة. وعلى عكس بعض متعصبي القرائين فقد تجنب القدح الشخصي في جدله ضد الربانيين. وقد عدّ أهمّ مجادل للقرائين في عصره[41]، كما كان له تأثير كبير على جميع الفكر القرائي بعده[42].

كانت للقرقساني صلة شخصية بالعالم الرباني "يعقوب بن إفرايم الشامي"، والأسقف المسيحي "ياسو سيخا" اللذين يذكرهما في كتاباته[43]، وممن يذكر أيضا المؤرخ والقاضي "محمد بن عمر الواقدي"، ومتكلم المعتزلة "أبو الهذيل العلّاف"-وهما من المتقدمين زمنا عليه- وكذلك يذكر بعض أسماء الفرق الإسلامية، ويظهر أنه كانت له علاقات مع شخصيات إسلامية ومسيحية قرأ أقوالها وتحاور معها[44].

سافر القرقساني كثيرا في بلاد الشرق، كما زار مراكز التعلم الإسلامي، واعتمدت كتاباته على الخبرة الشخصية المكتسبة من خلال سفرياته في بلاد فارس والهند، ولاشك أنّ سهولة تنقله تعود إلى انعدام الحواجز في ذلك الوقت، حيث يظهر مدى الحرية التي تمتع بها الجميع على اختلاف أديانهم وطوائفهم في تنقلهم داخل البلاد الإسلامية، ولا يُعرف سبب لهذه السفريات سوى أنها تقليد للعلماء المسلمين في جمع المعلومات عن عادات الأمم والشعوب وتقاليدها، وربما من أجل التعرف على جماعات يهودية في هذه البلدان[45].

للقرقساني عدة مصنفات، منها في مجال شرح التوراة شرحه للتكوين وأيوب والجامعة، وله في فن التأويل "القول على تفسير وشرح المعاني"، وفي فن الترجمة "القول على الترجمة"، وفي العقيدة أو أصول الدين "كتاب التوحيد"، والذي يمكن أن يكون ردا على

---

[41] Encyclopaedia Judaica, vol12, p186
Georges Vajda, Introduction a la pensée juive de moyen age, p 64

[42] Colette Sirat, A history of jewish philosophy in middle age, p39

[43] Encyclopaedia Judaica, vol12, p186
Colette Sirat, A history of jewish philosophy in middle age, p39

[44] القرقساني، الأنوار والمراقب، ج1، ص10

[45] القرقساني، الأنوار والمراقب، ج1، ص9، 10

"كتاب الأمانات والاعتقادات" لخصمه المعاصر له سعيد الفيومي، وله في نقد الإسلام "كتاب في إفساد نبوة محمد". لكن هذه المصنفات لم تصلنا[46].

أمّا أشهر مصنفاته على الإطلاق اثنان: الأوّل "الأنوار والمراقب"، والآخر "الرياض والحدائق"، وقد أتمّهما حوالي 938/937م الموافق لـ326/325هـ، والمصنف الأخير شرح على التوراة يختصّ بغير التشريع، وافتتحه بمقدمة عرض فيها مناهج التفسير، وأطلق عليه أيضا "في شرح معاني التوراة التي هي غير الفرائض"، وقد كتبه في نسختين: الأولى مطوّلة والثانية مختصرة، ولم يبق منهما سوى أجزاء مخطوطة. أما كتاب "الأنوار والمراقب" فله عنوان فرعي "كتاب الشرائع الكبير"[47]، وهو المصنف المطبوع الوحيد للقرقساني[48]. وقد قام بنشره المستشرق الروسي "ليون نيموي" في خمسة أجزاء بين سنتي 1939 و1943م بنيويورك مع تعليقات وتقديم بالانجليزية. ثم نَشر مؤخرا، سنة 2019م، الباحثُ المصري "حسين عبد البديع" الجزء الأول منه اعتمادا على نشرة "نيموي" مع تصويبات وتعليقات بالعربية.

والمطالع لكتاب "الأنوار والمراقب" يجده موسوعة ثرية في علم المقالات ومقارنة الأديان- وهي من أقدم ما كتب في هذا المجال بالعربية إضافة إلى كتابات المسلمين المعروفة لدينا- وعلم الكلام والفقه اليهوديين حسب رؤية فرقة القرائين، علاوة على الجدل الديني لهذه الفرقة ضد عامة الفرق اليهودية الأخرى وكذلك ضد المسيحيين والمسلمين.

وفيما يلي ذكر لمقالات هذا الكتاب حسب ما أوردها صاحبه في بدايته، مع شرحنا لكلماتها العبرية في الهامش[49]، تيسيرا للفهم.

---

[46] Encyclopaedia Judaica, vol12, p186

[47] القرقساني، الأنوار والمراقب، ج1، ص10، 11. وأحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، ص29

[48] Encyclopaedia Judaica, vol12, p186

يلاحظ أنّ موسوعة المسيري تسمي خطأ هذا الكتاب بالأنوار والمراتب.

[49] في المقالة السابعة: الـאביב أي الربيع؛ في المقالة الثامنة: في חג השבועות وفي בין הערבים أي في عيد الأسابيع وفي وقت الأصيل؛ المقالة التاسعة: الـמלאכה أي العمل؛ المقالة الحادية عشرة: الـערות أي المحارم، الـיבום أي إعتاق الأخ من الزواج بأرملة أخيه؛ المقالة الثالثة عشرة: الـציצית أي الأهداب التي تتصل بأذيال ثياب اليهود بطريقة خاصة، كي يتذكروا وصايا الرب ويعملوا بها. وللمزيد عن الصيصيت يراجع: رشاد الشامي، الرموز الدينية في اليهودية، ص69.

[المقالة الأولى وهي صدر الكتاب]

[المقالة الثانية في إيجاب البحث والنظر وإثبات حجّة العقل]

[المقالة الثالثة في الردّ على الأفاريق وأقاويلهم]

[المقالة الرابعة في الوجُوه والأسباب التي يُوصَل بها الى معرفة الفَرائِض]

[المقالة الخامسة في الختانة والسبت]

[المقالة السادسة في شرح تسع فرائض]

[المقالة السابعة في رؤوس الشهور وطلب الاביב]

[المقالة الثامنة في חג השבועות وفي בין הערבים]

المقالة التاسعة في الكلام على سائر الأعياد والفرق بين العيد والسبت في السמחה.

المقالة العاشرة في طمأ الحيوان والناس جميعًا.

المقالة الحادية عشر في الفروج التي هي الערוות وفيها ذكر الנדות.

المقالة الثانية عشر في جميع ما حُرِّم من المآكل وكذلك ما يُلبس وما يُزرع وفيها ذكر الלאיות.

المقالة الثالثة عشر في المَوَاريث.

والمطالع لكتابه يجد أنّ جزءا مهمّا من مقالته الأولى في حكاية قول خصومه التلموديين، كما أنّ معظم مقالته الثانية في الرد على هؤلاء الخصوم ودحض قولهم بوحيانية التلمود. أمّا مقالته الثالثة ففي الرد على الفرق الدينية الأخرى، والتي يُدرج ضمنها المسيحيين والمسلمين (يسمّيهم ישמעאלים الإسماعليين)، إضافة إلى مخالفيه من أصحاب الفرق اليهودية. وعن بقية مقالته العشر ففي التشريع اليهودي .

ب- رؤية القرقساني للتلمود :

1- مصدره وتشكلّه في التاريخ :

حسب القرقساني، فإنّ أوّل من فرّق اليهود بعد اتخاذهم ملوكا لهم من بينهم، وبدّل الشرع، هو "يربعام بن نباط"[50]، وهو الذي كان حسبما جاء في المقرا أوّل ملوك المملكة الشمالية، يضح هذا في قوله. «إنّ أوّل من أظهر الخلاف في الدين، وزرع المعاصي في آل إسرائيل، بعد استواء الملك، وغيّر الفرائض وبدّلها هو ירבעם [يربعام].»[51]. وفي موضع آخر: «فمنذ ذلك الوقت –أعني الوقت الذي فعل ירבעם [يربعام] ما فعل- نبع الخلاف في بني إسرائيل، وانزرعت فيهم تلك المذاهب.»[52] حيث صنع لهم عجلين من ذهبٍ يقومان مقام الكروبيم، واتخذ لأتباعه قبلة جديدة غير القدس –أورشليم-، واستبدلّ بالكهنة قوما من سائر بني إسرائيل، وغيّر ميقات الحج. ويرى القرقساني بإمكانية تبديل يربعام لأمور أخرى لم تذكرها المقرا، مقتصرة فقط على أعظمها. وحسبه فإنّ دافع يربعام لأعماله السابقة طلب توطيد مُلكه، وخوفه أن يتوق بنو إسرائيل إلى مَلكهم من نسل داود، فكانت تلك الأعمال محاولة منه لعزلهم عن منافسه السياسي المَلك الداودي.

والملاحظ أنّ القرقساني لا يعدّ يربعام عابدا للوثن ولا تاركا للدين جملة، وقد استطرد كثيرا في محاولة البرهنة على هذا الرأي وتأويل فقرات المقرا التي تدلّ بظاهرها على غيره[53]. ونرى أنّ الذي دعاه إلى ذلك حتى يسهل عليه لاحقا الربط بين تبديل يربعام في الدين وبين تبديل الربانيين فيه بعده، فمن غير المقبول أن يكون مبتدع مذهب الربانيين مرتدّا عن اليهودية أو وثنيا، ومذهبهم أقرب المذاهب اليهودية الكبرى إلى القرائين .

[50] هو يربعام الأوّل كان –حسبما جاء في المقرا- يعمل لدى سليمان ناظرا للعمال من قبيلة إفرايم المسخّرين للعمل، وقد قاد بعد وفاته الوفد الذي طلب من ابنه رحبعام الإصلاح، وحينما رفض الأخير ثار الشماليون وأسّسوا مملكتهم وخاضوا حربا مع المملكة الجنوبية، وقد اتخذ يربعام من شكيم عاصمة لدولته. للمزيد ينظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج4، ص184

[51] القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، ج1، ص6

[52] المصدر نفسه، ج1، ص9

[53] المصدر نفسه، ج1، ص6-9

وعموما حسب القرقساني، فإنه بعد جلاء الأسباط العشرة، استمروا في متابعتهم لخطايا يربعام ورخصه ومذاهبه التي ابتدعها وخالف فيها التوراة باستثناء العجلين، كما تابعه لاحقا آل يهوذا بعد جلائهم إلى بابل –العراق-، واستمرت هذه المتابعة إلى زمن القرقساني، على ما يذكر.

ثم يواصل سرده التاريخي قائلا: «وظهر بعد السامرة رؤساء الجماعة، وهم الربانيون، وذلك في زمان البيت الثاني، وأوّل مذكور منهم שמעון [شمعون] الذي يسمونه שמעון הצדיק [شمعون الصديق]، وهم يزعمون أنه كان من باقي כנסת הגדולה [المجمع الأعظم]، والذين يسمونهم אנשי כנסת הגדולה [رجال المجمع الأعظم] يزعمون أنهم الذين كانوا في عصر עזרא ונחמיה [عزرا ونحميا]، وإنما رأسَ الربانيون للجماعة لاتباعهم لتلك المذاهب والرخص المتوارثة عن ירבעם [يربعام]. وذلك أنهم ثبّتوها وشيّدوها واحتجوا لها ودوّنوا فيها المשנה [المشنا] وغيرها. وقد كان الواحد بعد الواحد ربّما أظهر الحق في فريضة من الفرائض فيبعدونه ويقصدونه بالمكروه.»[54].

فحسبه أنّ بعد ظهور السامرة، وهي فرقة دينية لا يرى أنها من بني إسرائيل وإن ادّعى أتباعها ذلك، وفي زمن الهيكل الثاني الذي بناه العائدون من بابل في بداية القرن السادس قبل الميلاد، ظهر الربانيون، وأوّل من ذُكر منهم شخص يدعونه شمعون الصديق، وحسبهم أنه من بقية المجمع الأعظم[55] (كنيست هجدولاه) الذي يعود إلى أيام عزرا ونحميا اللذين قادا المسبيين إلى فلسطين بعد تغلب الفرس على البابليين، ويعلّل القرقساني رئاسة الربانيين لبني إسرائيل بمتابعة هؤلاء للمذاهب والرخص المتوارثة عن يربعام، وما التلمود إلا تثبيت لها واستدلال عليها. وقد أبعدوا واضطهدوا كلّ من خالفهم في ذلك .

ويضيف القرقساني في موضع آخر[56] أنّ رأس الجالوت عَنان بن داود، أوّل من بيّن جملة من الحق في الفرائض، وكان عالما بأقوال الربانيين، وقد اجتهدوا في قتله، لكنهم فشلوا في مطلبهم..

---

[54] القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، ج1، ص11

[55] يقول الحاخام وعالم التلمود عادين شتينزلتس (1937- 2020م) عن هذا المجمع أنّ طبيعته غامضة، وكذلك أسماء أهمّ أعضائه وحياتهم ومناهجهم... ويضيف أن أعضاءه بعد تدوينهم للمقرا وتقنينها، اتجهوا إلى تثبيت التلمود. ينظر:

Adin Steinsaltz, The Essential Talmud, p14,15

[56] القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، ج1، ص13

2- كونه ليس محلّ إجماع بينهم :

يرى القرقساني أنّ التلمود لم يحظ بإجماع واتفاق اليهود عليه، وهو ما يطعن في وحيانيته وحجّيته: «إن النقل يحتاج [أن] يكون في يد جميع الأمة أو في يد الأكثر مثل يوم السبت وما شبه ذلك الذي هو في يد الخلق أجمع. وهذا النقل الذي يدّعيه من قال بقول الربانيين إنّما هو في يد قومٍ يسيرٍ منسوبا إليهم دون غيرهم، إذ كنّا نراهم يقولون في من يخالفهم في العيد وغيره: هذا مخالف للربانيين ولا يقولون: هذا مخالف لله ولا لتوراته.»[57].

وهو ما يؤكده في موضع آخر، حيث يرى أنّ التلمود من وضع وصنع قومٍ من اليهود، وليس من التنزيل أو الوحي الإلهي إلى الأنبياء: «والذي حمل أصحابنا على ترك الإقرار بالמשנה والתלמוד [بالمشنا والتلمود]، والأخذ بجميع ما فيهما، أمران، أحدهما: أنها ليست كتب تنزيلٍ، ولا أتت بها الأنبياءُ، وإنما هي كتبٌ موضوعة منسوبة إلى قومٍ.»[58].

ويقول في معرض بيان فساد قول الربانيين: «ويدعون مع ذلك إلى قبول حجّة الالמשנה والתלמוד [المشنا والتلمود] الذَيْن [كذا] إنما هما في أيدي قومٍ يسيرٍ، يجوز على مثلهم التواطئ[كذا].»[59]. فحسبه أنه نظرا لكون التلمود ليس كتابا متداولا بين عموم اليهود بل بين الربانيين فقط، فمن غير الممتنع أن يتفقوا على إحداثه وتلفيقه.

وفي موضع آخر[60] نراه يشترط في النقل المعتبر، والذي يلزم العمل به أن يكون ممّا اتفقت عليه فرق اليهود جميعا كالربانيين والعنانيين والبنيامينيين وغيرهم، وألّا يختصّ به بعضهم دون البقية.

وما ذكره عموما في مسألة عدم إجماع اليهود على التلمود صحيح، حيث إن عديد الفرق اليهودية تنكر أن يكون وحيا إلهيا، ومنها من تهاجمه وتنقده، مثل السامرة والصدوقيين قديما والإصلاحيين حديثا.

---

[57] المصدر نفسه، ج1، ص134

[58] القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، ج1، ص87

[59] المصدر نفسه، ج1، ص122

[60] المصدر نفسه، ج1، ص141، 148

3- تناقضاته الداخلية:

يرى القرقساني أنّ الأقوال المتناقضة ضمن التلمود دليل على عدم وحيانيتها، يقول أثناء حجاجه مع أتباعها: «ما يوجد في المشنا والتلمود [المشنا والتلمود] من اختلافهم، ومنازعة بعضهم لبعض في كثير من الأقاويل التي قالوها، وجَرَت بينهم فيها المنازعات، فلو كان ما قُطع عليه هو النقل لم يحتج أن يقول كلّ واحد منهم شيئا يحتج عليه، ثم يقطعون على أحد الأقاويل، وفي تنازعهم واختلافهم قبل القطع ما يدلّ على أنّ القطع إنما وقع عن حجّة لا عن إقرار بالنقل؛ إذ لو كان نقلا لاستغني فيه عن المنازعة.»[61]. فهو يرى أنّ تضارب الأحكام داخل التلمود إنما يرجع لتضارب استدلالات فقهاء الربانيين؛ حيث إنّ الوحي الإلهي المنقول لا يمكن أن يوجد فيه مثل ذلك.

ونظرا لأهمية هذه المسألة نراه يخصّص بابا من مقالته الأولى، وهو الباب العاشر الذي وسمه ب: "في ذكر ما يختلف فيه ربانيو الشام وربانيو العراق". وقد استهلّه بقوله: «إنّ الأشياء التي يختلفون فيها تكون شبيها بخمسين شيئا وليس بنا حاجة إلى ذكرها بأسرها، وإنّما نذكر منها العظائم التي تلزم كلّ فريق منهم أن ينسب الفريق الآخر فيما خالفه إلى ترك الدين، إذ كان ما بين الفريقين من الخلف في ذلك ليس بدون ما بين جملتهم وبين سائر القرائية والعانانيّة، ومن هذا يَبْطل ما يدّعونه من النقل، وأنّ مذاهبهم مأخوذة عن النبوة.»[62]. في هذا الباب وخلال أربع صفحات يسرد القرقساني التناقضات في الأحكام التشريعية بين رباني الشام ورباني العراق، وقد كفّر كل فريق منهم الآخر، وحكم عليه بالردّة عن الدين لأجلها، و«قد قتل بعضهم من بعض جماعة»[63] كما يذكر في موضع آخر من الكتاب. ولهذا سيعرف التاريخ اليهودي تلمودان مختلفان لا تلمودا واحدا: أحدهما التلمود البابلي وهو تلمود ربانيي العراق، و الآخر التلمود الأورشليمي وهو تلمود ربانيي الشام.

---

[61] المصدر نفسه، ج1، ص116

[62] القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، ج1، ص48. هذا ويرى علماء الربانيين أنه لا يوجد اختلاف حقيقي بين الروايات التلمودية، بل هو مجرد اختلاف ظاهري فقط. يراجع مثلا: سعديا الفيومي، شرح سفر التكوين، ص113، 114

[63] القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، ج1، ص120

4- ما تضمنه من تجسيم وأقوال توجب الكفروالإلحاد وأخرى مستحيلة :

تضمن التلمود حسبه أخبارا عن الخالق وأفعالا منسوبة إليه لا تليق ببعض المخلوقين، فضلا عن خالقها[64]. كما يذكر أنّ الربانيين قد أجازوا عليه التشبيه والتجسيم، ووصفوه بأقبح الصفات[65].

وقد أورد أمثلة كثيرة في كتابه مما جاء في تلمودهم، سنقتصر على ذكر بعضها:

- «أخبر الكتابُ أنّ في وقت خراب البيت يجب النّدب والبكاء وما شَبَه؛ ذلك لعلّة المعاصي...فزعموا... أنّ هذا الندب والبكاء والصُّلعة والوزرة إنما صنعه البارئُ بنفسه، فهل يعرف الله حقّ معرفته من وصَفَهُ بالبكاء والندب ولباس المسح.»[66].

- «وقالوا في التلمود [التلمود] أنّ لله موضعا يقال له המסתרים [الأماكن المستترة] يبكي فيه... وقالوا هناك أنه يقول: الويل إذا خربتُ بيتي وأجليتُ أمّتي. وزعموا أنّ الملائكة يبكون معه وأنه منذ خرب بيته قامتهُ منحنية وقالوا أنه نَتَفَ من شعره بيديْه.»[67].

- «وقالوا في التلمود [التلمود] أنّه لمّا تكاسلوا بني إسرائيل [كذا] في الوصايا صار عدوّ البارئ מך [فقيرا]، وقولهم عدوّه يعنون به البارئ جلّ وتعالى، وذلك على جهة الإكناء [الكناية]. وذلك كما يُسأل الإنسانُ عن ولده، فيقول عدوّهُ مريضٌ؛ لئلا ينسب المرض إلى ولده.»[68].

- «وقالوا في אגדה [أجادا] لهم تعرف بתלמוד בני רבי [بتلمود بني ربي] إنّ البارئ جلّ وعزّ تعلّم من משה [موسى] ثلثة [كذا] أشياء...»[69].

---

[64] المصدر نفسه، ج1، ص15

[65] المصدر نفسه، ج1، ص15

[66] القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، ج1، ص32، 33

[67] المصدر نفسه، ج1، ص33

[68] المصدر نفسه، ج1، ص33

[69] المصدر نفسه، ج1، ص33

وبعد إيراده لهذه الأمثلة وغيرها، نراه ينبّه على أنّها جزء يسير مما عندهم: «وكم عسى يتهيّأ للمحصي أن يحصي من أقاويلهم من هذا الجنس، فاقتصرتُ على ذكر هذا الطرف اليسير؛ ليتبيّن به كفرُهم وإلحادهم، وقِحة من يدّعي منهم أنهم ناقلة، وأنهم حجّة الله؛ لأنهم أخذوا عن النبوة.»[70].

ومن الأمور القبيحة التي وردت في التلمود حسبه أنّه أجاز الفسق والفجور لمن سيطرت عليه غريزته، مشترطا عليه فقط لبس السواد، والذهاب إلى موضع لا يعرفه فيه أحد[71]. ومن أمثلة تشريعات الربانيين غير المعقولة التي استندوا فيها على تلمودهم: «أنهم أوجبوا الختانة للميّت، التي ينافرها العقلُ غاية المنافرة.»[72].

[70] المصدر نفسه، ج1، ص34

[71] المصدر نفسه، ج1، ص35

[72] المصدر نفسه، ج1، ص18

خاتمة:

في ختام هذا البحث، يمكن أن نجمل أهم النتائج المتوصل إليها فيما يلي:

- ينكر القراؤون وحيانية التلمود، وفي مقدمتهم عنان بن داود الذي حاول التلموديون التخلص منه، رغم مكانته لديهم علما ونسبا. ومن الأسباب التي دعت القرائين لهذا الإنكار: كثرة الخلاف والتناقض ضمنه، ورود التوراة بصيغة المفرد حصرا، وهو ما يدلّ على عدم تعدّدها خلاف زعم التلموديين، علاوة على إقرار أتباعه بورود النهي الإلهي عن تدوينه، ومن المحال حسب القرائين أن ينهى الإله عن تدوين وحيه، وقد كان التأخر في التدوين والكتابة قرونا سببا في عدم حفظه...

- كتاب "الأنوار والمراقب" للقرقساني موسوعة ثرية في علم المقالات ومقارنة الأديان- وهي من أقدم ما كتب في هذا المجال بالعربية إضافة إلى كتابات علماء المسلمين المعروفة لدينا- وعلم الكلام والفقه اليهوديين حسب رؤية القرائين، علاوة على الجدل الديني ضد عامة الفرق اليهودية الأخرى وكذلك ضد المسيحيين والمسلمين.

- تتلخص رؤية القرقساني للتلمود في أنّ هذا الأخير يعود في أصله ومصدره إلى بدع يربعام بن نباط الذي يعدّه أوّل من فرّق اليهود وبدّل الشرع من ملوكهم. ولم يكن التلمود حسبه إلا تثبيتا لهذه البدع واستدلالا عليها. وممّا يطعن في وحيانيته وحجيّته لديه أنّه لم يحظ بإجماع واتفاق فرق اليهود، فهو مقدّس لدى فرقة محدودة العدد منهم فقط. هذا علاوة على التناقضات في الأحكام التشريعية بين رباني الشام ونظرائهم بالعراق، وقد تقاتلوا لأجل ذلك، وكفّر بعضهم بعضا. ولهذا سيعرف التاريخ اليهودي تلمودين مختلفين لا تلمودا واحدا: أحدهما التلمود البابلي، والآخر التلمود الأورشليمي. ومما يدلّل به القرقساني على بشرية التلمود تضمنه تشبيه وتجسيم الذات الإلهية ووصفها بأقبح الصفات، وأخبارا عنها لا تليق ببعض المخلوقات فضلا عن خالقها، هذا علاوة على إجازته الفسق والفجور لأتباعه، وتضمنه تشريعات باطلة تنافي العقول السليمة...

قائمة المصادر والمراجع :

أولا- كتب القرائين :

1.مراد فرج، شعار الخضر: في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين [ترجمة مختصرة لكتاب "أدرت إلياهو" للفقيه القرائي إلياهو بشياجي]، مطبعة الرغائب، مصر، 1917

2.مراد فرج، القرّاءون والرّبّانون، ط1دار العالم العربي، القاهرة-مصر، ط.1، 2011

3.يعقوب القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، نيويورك، 1939

4.يعقوب القرقساني، الأنوار والمراقب (الجزء الأول)، تح: حسين عبد البديع حسين، مراجعة ودراسة: أحمد محمود هويدي، الهيئة المصرية العامّة للكتاب القاهرة-مصر، ط.1، 2019

ثانيا- كتب الربانيين (التلموديين)

5.بَحْيِي بن باقودا، الهداية إلى فرائض القلوب والتنبيه على لوازم الضمائر، اعتنى بتحقيق نصّه وترجمة استشهاداته ونقوله التوراتية والتلمودية: أحمد شحلان، دار أبي رقراق، الرباط-المغرب، ط.1، 2010

6.بنيامين بن يونة التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، تر: عزرا حداد، تح: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق-سوريا، ط.1، 2014

7.التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان-الأردن، ط.1، 2011 .

8.داود هناجيد، تفسير فصول الآباء، نقله إلى الخط العربي وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبد المعبود، مراجعة وتقديم: أحمد محمود هويدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، ط.1،2018

9.سعديا الفيومي، الأمانات والاعتقادات، تح: صموئيل لاندور، دار بْريل، لَيْدَن:، 1880

10.سعديا الفيومي، تفسير التوراة بالعربية، أخرجه وصحّحه: يوسف درينبورج، نقله إلى الخط العربي وقدّم له وعلّق عليه: سعيد عطية مطاوع وأحمد عبد المقصود الجندي، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، ط.1،2015

11.سعديا الفيومي، شرح سعديا لسفر التكوين، حقّق النص وقدّم له بالعبرية: موشيه مردخاي تسوكر، نقله إلى الخطّ العربي: أحمد محمود هويدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، ط.1، 2019

12.مسعود حاي بن شمعون، الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين، مطبعة كوهين وروزنتال، مصر، 1912

13.مصطفى عبد المعبود، ترجمة متن التلمود، تقديم: محمد خليفة حسن، دار الطيبة، الجيزة، ط.1، 2008 .

14.نتنئيل بيرف فيومي، بستان العقول، نقلته إلى الخط العربي: سهير سيد أحمد دويني، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، ط.1،2014

15.يهوذا اللاوي، الكتاب الخَزَريّ: كتاب الرد والدليل في الدين الذليل، نقله إلى الحرف العربي: نبيه بشير، منشورات الجمل، بغداد-بيروت : 2012

ثالثا- الكتب العربية والمعربة

16.أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش-المغرب، ط.1، 1999

17.البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تح: إدوارد ساخاو، ليبزج، 1878

18.جعفر هادي حسن، تاريخ اليهود القرائين منذ ظهورهم حتى العصر الحاضر، العارف للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط.2،2014

19.حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي: أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق-سوريا، ط.4، 1999

20.رشاد الشامي، الرموز الدينية في اليهودية، جامعة القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، 2000

21.السّموأل المغربي (شموائيل بن يهوذا بن آبوان)، إفحام اليهود، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، ط1، دار الجيل/مكتبة الزهراء، بيروت/القاهرة: 1983

22.الشهرستاني، الملل والنحل، أشرف عليه وقدم له: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت-لبنان، 2008

23.عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، مصر، د.ط.، 1994

24.عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة-مصر، 1999.

25.عطية القوصي، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، مركز الدرسات الشرقية، القاهرة-مصر، د.ط.، 2001

26.علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، صححه وراجعه: عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، مصر، 1938

27.محمد جلاء إدريس، التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، مكتبة مدبولي، مصر، د.ط.، 1993

28.محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، دار رؤية، القاهرة-مصر، ط.1، 2016

29.محمد الهواري، الاختلافات بين القرائين والربانيين في ضوء أوراق الجنيزة، دار الزهراء، القاهرة-مصر، 1994

30.محمد الهواري، تفسير الوصايا العشر في المخطوطات العربية اليهودية، دار الزهراء، القاهرة-مصر، 1993

رابعا- الكتب الأجنبية :

31.Adin Steinsaltz, The Essential Talmud, Translated from Hebrew by Chaya Galai, USA: Basic Books, 1976

32.Colette Sirat, A history of jewish philosophy in middle age, Paris-Cambridge: Maison des Sciences de l'Homme and Cambridge University Press, 1996

33.Encyclopaedia Judaica, Second Edition, Jerusalem: Keter Publishing House, 2007, vol11,12

34.Georges Vajda, Introduction a la pensée juive du moyen âge, Paris: Librairie Philosophique J. Vrin, 1947

35.Maurice-Ruben Hayoun , L'exégèse juive, éd :1, Paris: PUF, 2000